مدرسة الإسكندرية

إنجيل المسيح

رؤية آبائية لمفهوم الخلاص عند القديس بولس الرسول (١)

نيافة أنبا مقار

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الثالث - ٢٠٠٩

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٣

إنجيل المسيح رؤية آبائية لمفهوم الخلاص عند القديس بولس الرسول (١)

إعداد نيافة الأنبا مقار

إنجيل المسيح

رؤية آبائية لمفهوم الخلاص عند القديس بولس الرسول (١)

إعداد مركز الأبحاث بالمجلة

تمهـيد:

١. العهد الجديد هو كتاب واحد، تعاليم معلم واحد هو الرب يسوع المسيح، ابن الله، الكلمة المُتجسِّد، حيث أعطى تلاميذه كلمات الحياة التي أعطاها له الآب وأوحى إليهم بروحه القدوس لكي يُعلنوا مجده للبشر، ومِنْ هنا يأتي التوافق بين السبعة والعشرين سِفرًا مِنْ أسفار العهد الجديد.

٢. رغم هذا التوافُق فإنَّ تعليم العهد الجديد يظهر في عدة أشكال طبقًا لشخصية الكاتب وتعليمه والوسط المُحيط بهِ، فالحق الإنجيلي أبدي ولكنه يمر خلال أي وسط مثل شعاع الشمس الذي ينقسم إلى ألوان مختلفة حسب الجسم الذي يسقط عليه.

٣. لدينا أربعة اتجاهات في تعليم العهد الجديد تتوافق مع البشائِر الأربعة: فرسالة يعقوب تتوافق مع إنجيل متَّى، ورسالة بطرس وعِظاته في سِفر الأعمال تتوافق مع إنجيل مرقس، ورسائل بولس تتوافق مع إنجيل لوقا وأعمال الرسل، ورسائل يوحنا تتوافق مع إنجيله.

٤. بالطبع كان هناك فارِق كبير بين المسيحيين مِنْ أصل يهودي والمسيحيين مِنْ أصل أُممي وذلك أثناء القرن الأول الميلادي بالكامل، فلقد ربط المسيحيون اليهود حياتهم بالعهد القديم والعبادة اليهودية والهيكل، في حين أنَّ الأُمميين انتقلوا مِنْ العبادة الوثنية إلى نعمة الله في المسيح يسوع مباشرةً.

٥. لذلك كان لابد أن يكون هناك رُسُلاً للخِتان وآخرين للغُرلة، وكان بطرس هو مُمثِل كنيسة اليهود وبولس هو مُمثِل كنيسة الأُمم، أمَّا يوحنا فيُمثِل اتحاد الاثنين في الكنيسة الجامعة في نهاية القرن الأول الميلادي[١].

بولس رسول الأُمم :

١. بولس الرسول هو الوحيد بين الرسل الذي له الخلفية اليهودية الفريسية فهو فريسي بن فريسي (فرّيسي للجيل الثالث أع ٢٣ : ٦، في ٣ : ٥)، تربَّى في شبابه في أورشليم عند قدمي غمَّالائيل (أع ٢٢ : ٣، ٢٦ : ٤)، وتعلَّم حسب الطريق الكامل لناموس الآباء وعاش حسب مذهب العبادة الأضيق (أع ٢٦ : ٥)، واختُيرَ نائِبًا لتنفيذ الأحكام عن الكهنة وأعضاء السنهدريم لأنهُ فاقَ أترابه في غِيرته المُحرِقة على تقاليد آبائِهِ[٢] (غل ١ : ١٤).

٢. وكانت له أيضًا الخلفية اليونانية مِنْ حيث الجدل والمنطِق حيث إنَّ غمَّالائيل كان مِنْ القلائِل الذين رأوا أنه ليس مِنْ المرغوب فيه قطع الصِلة تمامًا بين سام (اليهود) ويافِث (اليونانيين) اللَّذينِ اشتركا في سَتْر عُري أبيهِمَا نوح بثوبٍ واحد.

٣. لقد كانت له معارِك شديدة مع المُتهودين *Judaizers* «الذينَ دخلوا اختلاسًا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح يسوع» (غل ٢ : ٤).

٤. وأيضًا كانت له صِدَامات كثيرة مع الغنوسيين *Gnostics*، الذينَ اعتقدوا أنَّ هناك وُسطاء كثيرين بين الله والناس وأولهم المسيح، لكن بولس رد عليهم بوضوح «أنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح» (١تي ٢ : ٥).

٥. فالقديس بولس يُركِّز بشدة على شخص المسيح وعمله الكفاري الخلاصي ومن ثم الاتحاد بهِ. فالمسيح الذي مات هو الذي قامَ مِنْ الأموات

---

[1] Ph. Schaff, *History of the Christian Church*, Ages software, Albany, 1997 (Digital copy) Vol. 1, P 411 ff

[٢] فرار (فردريك)، حياة بولس، تعريب د. جورجي عقداوي، الأسقيط المقدس، طبعة ثانية، ٢٠٠٥، ص ٤٧.

ويحيا إلى الأبد ربًا ومُخلِّصًا وصار لنا حكمة مِنْ الله وبرًا وقداسة وفداءً (١كو ١ : ٣٠)، لأنهُ لو لم يقُم المسيح فباطل إيمانُنا (١كو ١٥ : ١٣ ـ١٤)، ولن يكون هناك رجاء أو غُفران للخطايا، فالمسيح مات لأجل خطايانا وأُقِيمَ لأجل تبريرنا (رو ٤ : ٢٥).

أولاً. شخصية المسيح كما أعلنها لنا القديس بولس :

لم يكتُب لنا القديس بولس كِتابًا لاهوتيًا يفصِل فيه بين شخص المسيح وعمله الفدائي ولكنه كتب رسائل روحية يتحدث لنا فيها عن الخلاص الذي صنعهُ لنا المسيح «طريقًا كرَّسهُ لنا حديثًا حيًا بالحجاب أي جسده» (عب ١٠ : ٢٠). ومع ذلك يغلب على رسالتي رومية وغلاطية الطابع الخلاصي *Soteriological*، أما فيلبّي وكولوسي فيغلِب عليهِما الطابع المِسيحياني *Christological*.

١. المسيح أزلي بالنسبة لطبيعته الإلهية:

يتحدث القديس بولس بوضوح أن المسيح هو «صورة الله - المعادل لله» أي أنه منذ الأزل «الذي إذ كانَ في صورة الله لم يحسب خُلسةً أن يكون مُعادِلاً لله...» (في ٢ : ٦) فهو «ابن الله» الذي أرسله إلى العالم «فالله إذ أرسل ابنهُ في شِبه جسد الخطية...» (رو ٨ : ٣) وبذله لأجل العالم «الذي لم يُشفِق على ابنه بل بذلهُ لأجلِنا أجمعين...» (رو ٨ : ٣٢)

ويُؤكِد ذلك القديس غريغوريوس اللاهوتي قائلاً: [الكلمة يسوع المسيح نفسه الأزلي غير المنظور الذي لا يُحَدْ، البدء والآتي مِنْ البدء الأول، النور الآتي مِنْ النور، نبع الخلود ونبع الحياة، صورة الجمال الأول، الخِتم الذي لا يتغير، الصورة التي تُشابهها صورة كلمة الآب ونُطقه] [٣].

[٣] عدة مؤلفين، تدبير الخلاص عند آباء الكنيسة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، سبتمبر ٢٠٠٢، ص ١٢٤. وأيضًا: مختارات للقديس غريغوريوس اللاهوتي، منشورات النور، ص ١٨١.

ويُؤكد القديس كيرلس الإسكندري على ذلك بقوله: [وإن كانَ مُشترِكًا في طبيعتنا كإنسان فهو لا يزال في نفس الوقت فوقَ كل خليقة كإله] [٤].

أمَّا في رسالِة كولوسي فيُحدد الرسول بولس العلاقة بين المسيح الأزلي والخليقة بقوله: «الذي هو صورة اللّه غير المنظور بكر كل خليقة» (كو ١: ١٥). ولابد هنا أن نذكُر أنَّ كلمة بكر هنا تعني «المولود البكر»[٥] πρωτότοκος، وهذه الكلمة تُماثِل كلمة «الابن الوحيد» μονογενής التي استعمِلها يوحنا الحبيب.

ويُؤكِد ذلك العلاَّمة أُوريجانوس: [المسيح هو الصورة (الأيقونة) εἰκὼν المنظورة للّه غير المنظور] [٦]، أمَّا القديس غريغوريوس اللاهوتي فيقول: [هنا لدينا صورة حيَّة لكائِن حي ومُتميزة عنه] [٧]، والقديس أثناسيوس الرسولي يقول: [إنه لم يَرِد قط عن السيد المسيح أنه بكر مِنْ اللّه أو خليقة مِنْ اللّه، إنما كُتِب عنه أنه الابن الوحيد، الكلمة وهذه كلها تمِس علاقته مع الآب، أمَّا بالنسبة للخليقة فيقول إنه بكر كل خليقة، فهي تسمية تختص بتنازُله وتفضُّله مِنْ أجل الخليقة] [٨].

٢. المسيح مُساوٍ للآب في الجوهر:

وتعبير ابن اللّه عند بولس الرسول يعني المساوي للّه: «الذي هو صورة اللّه غير المنظور» (كو ١ : ١٥)، «فإنهُ فيهِ يحل كل مِلء اللاهوت جسديًا» (كو ٢ : ٩)، «لم يحسب خُلسةً أن يكون مُعادِلاً للّه» (في ٢ : ٦)، بل إنه يضيف

---

[٤] تادرُس يعقوب (القمُص) تفسير رسالِة فيلبِّي، سبورتنج، ٢٠٠٣، ص ٣٨. (*Letters* 50: 14)

[٥] وهي تختلف في المعنى تمامًا عن (المخلوق البكر πρωτόκτιστος) التي تحمل مفهوما أريوسيا أن المسيح هو مخلوق.

[٦] تادرس يعقوب (القُمص)، تفسير رسالِة كولوسي، سبورتنج، ٢٠٠٣ ، ص ٢٧ (*De principiis* 1: 2: 6)

[٧] المرجع السابق (*Orations* 30: 20)

[٨] المرجع السابق، ص ٢٨ (*Against Arians* 2: 21: 63)

«الذي وهو بهاء مجدهِ ورسم جوهرهِ وحامِل كل الأشياء بكلمة قُدرتهِ» (عب ١ : ٣).

ويفرَّق القديس كيرلُس الإسكندري بين حلول كل مِلء اللاهوت في المسيح وحلوله فينا قائلاً: [الحلول الكائِن فيهِ ليس مجرد حلول نِسبي أو بالمُشاركة مِثلنا بل هو اتحاد حقيقي بين الطبيعة الإلهية غير المحدودة وهيكل جسدهِ المولود مِنْ العذراء] [٩].

ويصِف القديس أمبروسيوس المسيح، أنهُ [ذراع الآب لأنهُ خلق الجميع وهو الحكمة؛ حكمة الآب وقدرته لأنَّ فيهِ يحِل مِلء اللاهوت جسديًا] [١٠].

٣. المسيح هو الخالِق :

ويصر بولس الرسول أن المسيح ليس فقط أزليًا حسب لاهوته ومساوٍ للآب بل هو أيضًا الخالق: «الذي بهِ أيضًا عَمِلَ العالمين» (عب ١ : ٢)، بل إننا قد خُلقنا له «فإنهُ فيهِ خُلِقَ الكل ما في السموات... الكل بهِ ولهُ قد خُلِقَ» (كو ١ : ١٦) وخُلقنا به «ورب واحد يسوع المسيح الذي بهِ جميع الأشياء ونحن بهِ» (كو ١ : ٨ : ٦)

ويقول القديس أثناسيوس: [إن الابن هو الكلمة ذاته حسب الطبيعة الخاصة بجوهر الله وهو منه وهو فيه كما يقول هو نفسه، لذلك لم يكن مُمكنًا أن تصير المخلوقات إلاَّ بهِ، فالآب خلق كل الأشياء بالكلمة كما بواسطة يد وبدونهِ لم يخلِق شيئًا] [١١].

٤. المسيح الابن الأزلي أخَذَ جسدًا :

والابن الأزلي قد أخذ جسدًا حسب التدبير: «فالله إذ أرسل ابنهُ في شِبه جسد الخطية...» (رو ٨ : ٣)، ولكن كان لابد أن يخلى ذاته من مجد الألوهية

---

[٩] المرجع السابق، ص٥٢ (PG 75:1400)

[١٠] المرجع السابق (*Concerning Virgins* 3: 1: 3)

[١١] المرجع السابق، ص ٢٩ (*Against Arians* 2: 18: 31)

«لكنه أخلى نفسه آخِذًا صورة عبدٍ صائِرًا في شِبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسانٍ وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رَفَّعهُ اللّه أيضًا وأعطاه اسمًا فوقَ كل اسمٍ...» (في ٢ : ٧ ـ ٩).

لقد صارَ إنسانًا (ἄνθρωπος) بكل معنى الكلمة ـ جسدًا ونفسًا وروحًا ـ مماثلا تماما لآدم: «فإنهُ إذ الموت بإنسانٍ (آدم) بإنسانٍ (المسيح) أيضًا قيامة الأموات» (١كو ١٥ : ٢١)، «والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح...» (رو ٥ : ١٥)، «لأنهُ أقامَ (اللّه) يومًا هو فيه مُزمِع أن يدين المسكونة بالعدل برجلٍ (المسيح) قد عيَّنهُ مُقدمًا للجميع إيمانًا إذ أقامهُ مِنْ الأموات» (أع ١٧ : ٣١).

ويُؤكِد القديس ديديموس الضرير هذه الحقيقة حيث يقول فى تفسير سفر زكريا: [نحن نتمسك بالإيمان القديم ونعترف بأنَّ اللّه الكلمة تجسَّد واتخذ طبيعة إنسانية كاملة مِنْ نفس وجسد وروح] [١٢].

أمَّا العلاَّمة أوريجانوس فيُشير إلى نقطة هامة وهي أن [الإنسان خُلق على صورة اللّه ولهذا فإنَّ مُخلِّصنا الذي هو صورة اللّه بحنوه نحو الإنسان الذي خَلَقَهُ على مِثاله إذ رآه قد ترك صورته جانبًا ولَبَسْ صورة الشرير أخذ صورة الإنسان ونزل إليه] [١٣].

٥. المسيح الكلمة المُتجسِد عَاشَ بلا خطيئة :

عاش واضع الناموس تحت الناموس: «ولكن لما جاءَ مِلء الزمان أرسل اللّه ابنهُ مولودًا مِنْ امرأةٍ مولودًا تحت الناموس» (غل ٤ : ٤)، ولكنه «لم يعرِف خطيئة» (٢كو ٥ : ٢١) وأيضًا لقد «وُجِدَ في الهيئة كإنسانٍ وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب»(في ٢ : ٨).

---

[١٢] عدة مؤلفين، تدبير الخلاص عند آباء الكنيسة، ص ٤٦

[١٣] تادرس يعقوب (القُمص)، تفسير رسالة فيلبّي، سبورتنج، ٢٠٠٣، ص ٣٩ (*On Genesis Hom.* 1: 13)

فلكي يُخلِّص الخُطاة لابد أن يكون بلا خطيئة، وهذا ما يؤكده يوحنا ذهبي الفم قائلاً: [لأنَّ المسيح لم يأخذ جسدًا آخر بلا خطيئة ولا غيَّر جوهر الجسد وذلك لكي يُهيِّئه للحرب ضد الخطيئة بل على النقيض أبقاه في طبيعته وجعلهُ يربح إكليل النُّصرة ضد الخطيئة] [١٤].

ثم يشرح ذلك بقوله: [إنَّ ذاكَ الذي هو بار صارَ خطيئة أي تألَّم كخاطئ مُدان كمَنْ لُعِن ليموت] [١٥]، أمَّا القديس غريغوريوس النيصي فيوضح أنَّ محبته للبشر هي التي جعلته يقبل التجسُّد: [مِنْ أجلِنا صارَ مُطيعًا ومِنْ أجلِنا صارَ خطيئةً ولعنةً لأجل التدبير لخلاصنا وليس بحسب الطبيعة إنما صارَ هكذا في حُب للبشر] [١٦].

ثانيًا. الاحتياج العام للخلاص :

أخطأ آدم وكل الجنس البشري وكان عمل العصيان بسبب آدم الأول هو مدخل الخطيئة والموت اللَّذين سادا على الجنس البشري كله: «كأنما بإنسانٍ واحدٍ دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رو ٥ : ١٢)،فالجميع إذن يحتاجون للخلاص: «الجميع زاغوا وفسدوا معًا. ليس مَنْ يعمل صلاحًا ليس ولا واحِد» (رو ٣ : ١٢)، وأولهم أنا. هكذا يقول القديس أمبروسيوس: [في آدم سقطت أنا وفيهِ طُرِدت مِنْ الفردوس وفيهِ مُتْ أمَّا الآن ففي المسيح أتبرر أنا] [١٧].

ولكن هل موقف الأممي الذي يحيا بلا ناموس يختلف عن اليهودي الذي لديه الناموس؟ يوضح لنا بولس الرسول أن كلاهما أخطأ وكلاهما يحتاج إلى الخلاص «لأنَّ كل مَنْ أخطأ بدون الناموس (الإنسان الأُممي) فبدون

---

[١٤] سعيد حكيم يعقوب (دكتور)، تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ، الجزء ٣، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٧ ، ص٢٣.

[١٥] تادرس يعقوب (القُمص) تفسير رسالة كورنثوس الثانية ، سبورتنج ٢٠٠٠ ، ص ١٧١ (*In 2 Cor. Hom.* 11)

[١٦] المرجع السابق. (*Against Eunomius* 2:11)

[١٧] تادرس يعقوب (القُمص)، تفسير رسالة رومية، سبورتنج، ١٩٩٠، ص ١٠٦ (*On Belief of Resur.* 2:6)

الناموس يهلك. وكل مَنْ أخطأ في الناموس (الإنسان اليهودي) فبالناموس يُدان» (رو ٢ : ١٢)، فلا عُذر لليهودي لأنَّ لديهِ الناموس الذي يجعله «قائد للعُميان ونور للذينَ في الظلمة» (رو ٢ : ١٩) فكيف يُخالِف الناموس إذًا؟!! ولا عُذر للأُممي لأنَّ لديهِ «عمل الناموس مكتوبًا في قلوبِهِم شاهدًا أيضًا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مُشتكِية أو مُحتجَّة (مُدافِعة)» (رو ٢ : ١٥).

ويشرح ذلك القديس يوحنا ذهبي الفم قائلاً: [إنَّ الأُممي يُدان فقط وِفْق النواميس الطبيعية لكن اليهودي يُدان على أساس الناموس وبالتالي يكون اليهود مُحتاجين للنعمة أكثر مِنْ اليونانيين طالما أنهم سيُدانون أكثر] [١٨].

ولكن هناك صِراع بين ذهن الإنسان (νοῦς) الذي يميل إلى الله وجسد الإنسان (σὰρξ) الذي يميل إلى الخطيئة. ونتيجة الطبيعة الساقطة الفاسِدة الضعيفة نميل نحو الجسد وشهواته ولا نستطيع أن نُتمم الناموس الإلهي.

هنا نرى قصة الإنسان والخطيئة على ثلاث مراحل:

١ -الإنسان قبل الناموس (رو ٧ : ٧ . ٩) :

كانَ نور الله في ضمير الإنسان قد بدأ يخبو وتسللت الخطيئة كقوة مُدمرة إلى حياته وصارت كشيء عادي في حياته دون أن يلتفت إليها، كانت الخطيئة بالنسبة للإنسان ميتة لأنه لا يعرفها أو يُميز قوَّتها وكان الإنسان حيًا وبَنَّسْ هذه الحياة.

ويُحدد لنا القديس يوحنا ذهبي الفم هذا المفهوم بقوله: [لم يُعطِ الناموس الخطيئة وجودها إذ كانت موجودة مِنْ قبل لأنَّ الناس كانوا يُخطِئون قبل الناموس ولا يُدرِكون ولَّما جاءَ الناموس فإنهم وإن لم ينتفعوا منهُ بشيء إلاَّ أنهُ عرَّفهم عليها بدقة مُظهِرًا أنهم يُخطِئُون]، ثم يُضيف تعليقًا على قول الرسول:

[١٨] سعيد حكيم يعقوب (دكتور)، تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الجزء ١، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٤، ص١٢٣.

[أمَّا أنا فكنتُ بدون الناموس عائِشًا قبلاً تعني أنني لم أكن تحت إدانة الناموس الدقيقة والصارِمة التي تستوجِب موتي] [١٩].

٢ - الإنسان بالناموس (رو ٧ : ١٠ ـ ٢٥) :

ظهر الناموس كقوة مُضادة للخطيئة، معلنًا خطورتها المُدمِرة (فعاشت الخطيئة) وصارَ الإنسان مُدانًا بالناموس (ومُتُ أنا)، لقد جاءَ الناموس وجاءت الوصية لتُعطيني حياة مع الله ولكنني وُجِدتُ مُدانًا بسبب خطاياي فنِلت الموت بدلاً مِنْ الحياة.

الناموس صالِح والوصية مُقدسة لأنَّ: «الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها» (رو ١٠ : ٥)، ولكن الخطيئة صيَّرتني مُدانًا تحت الناموس ومحكومًا عليَّ بالموت، فالناموس كانَ مِنْ المفروض أن يقودني للحياة، لكن الخطيئة جعلته يحكم عليَّ بالموت، فالخطيئة (مِنْ خلال الناموس الصالح والمُقدس) أنشأت لي موتًا: «لكي تصير الخطية خاطئةً جدًا (بالوصية)» (رو ٧ : ١٣).

ويُكمِل لنا القديس يوحنا ذهبي الفم شرحه قائلاً: [إن كانَ الإنسان لم يعرف الشهوة قبل الناموس فلماذا صارَ الطوفان؟ ولماذا كان حرق سدوم؟ ويُجيب على هذا التساؤل بأنَّ الإنسان يعرف الخطيئة بالناموس الطبيعي لكن جاءَ الناموس يُحدِّد الشهوة ويكشِفها فصارَ الناموس جنبًا إلى جنب مع الناموس الطبيعي يُضيف على الإنسان إتهامًا أشد] [٢٠].

لقد صارت الخطيئة ساكنة في جسدي «جسدي مبيع تحت الخطية» (ع ١٤)، «وليس ساكن فيَّ أي في جسدي شيء صالِح» (ع ١٨)، لي إرادة (في ذِهني) أن أصنع الخير ولكن: « الشر الذي لستُ أُريدهُ فإياهُ أفعل » (ع ١٩) نتيجة الخطيئة الساكنة في جسدي، فأنا بذهني أخدِم ناموس الله ولكن بجسدي أخدِم ناموس الخطيئة فَمَنْ يُنقِذني مِنْ جسد (σὰρξ) هذا الموت ؟

---

[١٩] تادرس يعقوب (القُمص)، تفسير رسالِة رومية، ص ١٣٤ (*In Rom. Hom.* 12)

[٢٠] المرجع السابق، (*In Rom. Hom.* 12)

وهنا يلفِت القديس يوحنا ذهبي الفم نظرنا إلى نقطة هامة وهي أن [الرسول لم يقُل إنَّ جسده هو الذي يفعل هذا، بل الخطيئة الساكنة فيَّ، لأنَّ اللّه خلق الجسد صالحًا ليس شرًا في ذاته لكن إذ دخلت الخطيئة لم يعُد يسكن فيه شيء صالِح].

أمَّا الأب دانِيال (مِنْ آباء الرهبنة) فيشرح لنا كلمة الجسد قائلاً: [يلزمنا أن نأخذ كلمة الجسد هنا لا بمعنى الإنسان أو المادة الملموسة إنما يقصِد الإرادة الشهوانية أو الرغبة الشِرِّيرة] [٢١].

٣ - الإنسان في المسيح يسوع :

لقد أدخل المسيح عُنصُرًا جديدًا لهذه المعادلة الصعبة، لقد كان الناموس يسكن الذهن (νοῦς) لذلك كانت لديَّ الإرادة أن أفعل الخير ولكني لا أستطيع لأنَّ الخطيئة تسكن في الجسد (σὰρξ).

هنا المسيح أدخل روح الحياة (πνεῦμα της ζωης) لكي يعتقني مِنْ الخطيئة: «لأنهُ ما كانَ الناموس عاجزًا عنهُ في ما كان ضعيفًا بالجسد فاللّه إذ أرسل ابنهُ في شِبه جسد الخطية ولأجل الخطية دانَ الخطية في الجسد» (رو ٨ : ٣)، «إذًا لا شيء مِنْ الدينونة الآن على الذينَ هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد (σὰρξ) بل حسب الروح (πνεῦμα)» (رو ٨ : ١).

وهكذا يوضح القديس يوحنا ذهبي الفم قائلاً: [المسيح قد ربح نُصرة مُبهِرة ضد الخطيئة، أولاً: الخطيئة لم تنتصِر على الجسد، ثانيًا: الخطيئة هُزِمَت مِنْ الجسد بعد أن كانت تنتصِر عليه دائمًا، ثالثًا: أنَّ الجسد لم ينتصِر فحسب بل وأدانَ الخطيئة أيضًا، كونه لم يُخطِئ فهذا معناه أنه لم يُهزَم

---

[٢١] المرجع السابق، ص ١٤٧ (*Cassian Conf.* 4: 11).

ولكن كونه أدان الخطيئة معناه أنه أبطل قوَّتها وأبادَ الموت الذي أوجدته] [٢٢].

يُميِّز القديس يوحنا ذهبي الفم بين ثلاثة أنواع مِنْ الناموس؛ أولاً: ناموس الخطيئة العامِل في جسدنا وهو يدخل بنا إلى الموت الأبدي، ثانيًا: ناموس موسى وهو روحي ولكنه لا يهِب الروح ولا يُبرر، ثالثًا: ناموس المسيح أو ناموس الروح وهو يهِب الروح ويُقدم لنا الحياة الأبدية ببِرْ المسيح وبهِ نسلُك في قوة الروح القدس.

ثالثًا. كيف أعدَّ الله (الآب) الخلاص للبشر:

الله يُريد خلاص الكل فهو «الذي يُريد أنَّ جميع الناس يخلُصون وإلى معرِفة الحق يُقبلون» (١تي ٢ : ٤)، «لأنهُ قد ظهرت نعمة الله المُخلِّصة لجميع الناس» (تي ٢ : ١١)، وهذا التعليم كرَّرهُ القديس بطرس في (٢بط ٣ : ٩)، والقديس يوحنا الحبيب في (يو ٣ : ١٦)، فالآب قد أرسل ابنهُ «يسوع المسيح البار وهو كفَّارة لخطايانا. ليسَ لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضًا» (١يو ٢ : ١ ـ ٢).

والقديس يوحنا ذهبي الفم يُريدنا أن نتمثَّل بالله قائلاً: [تمثَّل بالله فإنهُ يُريد أنَّ جميع الناس يخلُصُون، فلتكُن هذه هي إرادتك أنتَ أيضًا] [٢٣].

لقد تم الإعداد للخلاص على مرحلتين:

(١) مرحلِة الوعد قبل الناموس:

أ. كانَ الوعد لإبراهيم أن يكون وارِثًا للبر الذي بالإيمان (وذلك قبل الختِان) وأخذ علامِة الختِان ختمًا لبر الإيمان الذي كان له في الغُرلة (رو ٤ : ١ – ١١).

---

[٢٢] سعيد حكيم يعقوب (دكتور)، تفسير رسالِة بولس الرسول إلى أهل رومية، الجزء ٣، ص٢٢.

[٢٣] تادرس يعقوب (القُمص)، تفسير الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، سبورتنج، بدون تاريخ، ص ٢٣
(*In 1 Tim. Hom.* 7)

الختان هو علامة جسدية جاءت لا مُعارِضة للإيمان بل مُؤكِدة له حتى كل مَنْ يحمِلها إنما يلزم أن يلتزِم بالإيمان، فإبراهيم آمَنْ أولاً في الغُرلة وبقى مُؤمِنًا وهو في الختان بهذا أعلن أُبوته لأهل الغُرلة أن يقبلوا الامتثال بهِ في الإيمان وأيضًا لأهل الختان أن يفعلوا ذات الأمر.

ب. وصارَ بذلك إبراهيم أبًا للمؤمنين الذينَ في الغُرلة (الأُمميين) لكي يحسِب لهم البر إذا آمنوا مثله، وأبًا أيضًا للمؤمنين الذينَ في الختان (اليهود) لكي يحسِب لهم البر إذا سلكوا في خطوات إيمان إبراهيم (رو ٤ : ١١ ـ ١٢).

ويُعلِن القديس يوحنا ذهبي الفم قائلاً: [لأنهُ إن كانَ إبراهيم قد تبرر وهو بعد في الغُرلة فقد جاءَ اليهود بعد ذلك، إذًا إبراهيم هو أب الأُمميين أولاً لا بسبب غُرلتهم بل لاقتدائِهم بإيمانه، كذلك اليهود لا ينتفعون ببنوتهم له لا لكونِهم مختونين وإنما لأنهم لم يُؤمنوا... إذًا لكَ الحق في أُبُوة إبراهيم إن سِرْت في خطوات ذلك الإيمان] [٢٤].

ج. لذلك صارَ إبراهيم سبب بركة لكل مَنْ يُؤمِن «فيك تتبارك جميع الأمم. إذًا الذينَ هم مِنَ الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن» (غل ٣ : ٨ ـ ٩).

أولاد إبراهيم مِنْ اليهود أو الأمم هم المُتشبهين بهِ أي الذينَ يعيشون بالإيمان فيُشارِكوه في المواعيد، فالإيمان هو الذي يأتي بالأمم إلى الالتصاق بإبراهيم أكثر مِنْ اليهود نسله حسب الجسد الذينَ يتكِئُون على الإيمان بالمسيح يسوع لتبريرهم سوف يتباركون مع إبراهيم المؤمِن.

(٢) مرحلِة الناموس :

أ. جاء الناموس ولم يتبرر آحد بالناموس بسبب الخطيئة «ليسَ أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهِر لأنَّ البار بالإيمان يحيا» (غل ٣ : ١١)، «لأنهُ إن كانَ الذينَ مِنَ الناموس هم ورثةٌ فقد تعطَّل الإيمان وبَطَلَ الوعد» (رو ٤ : ١٤).

---

[٢٤] تادرس يعقوب (القُمص)، تفسير رسالِة رومية، سبورتنج، ١٩٩٠، ص٨٥ (*In Rom. Hom.* 8)

ما دامَ الناموس عاجِزًا تمامًا عن أن يقود الإنسان للبر، فالإيمان هو العلاج الفعَّال الذي يجعل ما كانَ مُستحيلاً بالناموس مُمكِنًا، لأنَّ الإتكال على أعمال الناموس ليسَ فقط يُفقِد الإنسان عمل الإيمان الذي لإبراهيم ويحرِمه التمتع بالوعد الإلهي وإنما يدخل بهِ إلى غضب الله لأنه وهو يُمارِس الأعمال الظاهرة كالخِتان والغسلات يكسر شرائِعه السلوكية كالوصايا العشر ولو وصية واحدة فيُحسب مُتعدّيًا.

ب. «الإنسان الذي يفعلها (الوصية) سيحيا بها» (رو ١٠ : ٥، غل ٣ : ١٢)، ولكن لم يستطِع أحد أن يُتمم الناموس أو الوصية بل إنَّ الناموس كشف تعديات الإنسان وخطاياه فسقط الإنسان تحت لعنِة الناموس «لأنَّ جميع الذينَ هم مِنْ أعمال الناموس هم تحت لعنةٍ لأنهُ مكتوب ملعون كل مَنْ لا يثبُت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل بهِ» (غل ٣ : ١٠)، «لأنَّ الناموس يُنشئ غضبًا» (رو ٤ : ١٥)، «لأنهُ بأعمال الناموس كل ذي جسدٍ لا يتبرر أمامه» (رو ٣ : ٢٠).

ويُكرر القديس يوحنا ذهبي الفم ذلك: [مِنْ غير الممكن أن يصير المرء بارًا بالناموس إلاَّ فقط مِنْ خلال تتميم كل الوصايا وهذا لم يكن مُمكِنًا لأي أحد وبناء على ذلك فقد فشل هذا البر] [٢٥].

أمَّا القديس أُغسطينوس فيُضيف قائلاً: [قبل الناموس كان يمكن أن يُدعى الإنسان خاطئًا ولم يكن مُمكِنًا أن يُدعى مُتعديًا وأمَّا وقد أخطأ بعد استلامه الناموس فلم يعُد خاطئًا فحسب وإنما مُتعديًا أيضًا وهكذا أُضيفَ التعدّي إلى الخطيئة فكثُرت الخطيئة جدًا] [٢٦].

ج. الناموس إذًا قد جاءَ ليكشِف تعديات الإنسان وخطاياه إلى أن يأتي نسل إبراهيم: «لا يقول وفي الأنسال كأنهُ عن كثيرين بل كأنهُ عن واحدٍ وفي نسلك الذي هو المسيح» (غل ٣ : ١٦). فالناموس ليس قادرًا أن يُحيي لكنَّ

[٢٥] سعيد حكيم يعقوب (دكتور)، تفسير رسالِة بولس الرسول إلى أهل رومية، الجزء ٣، ص ١٤٩.

[٢٦] تادرس يعقوب (القُمص)، تفسير رسالِة رومية، ص ٨٦ (*Ser. On N.T.* 75:2)

الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليُعطي الموعد مِنْ إيمان يسوع المسيح (غل ٣ : ٢٢)، فالناموس إذًا كان مُؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان (غل ٣ : ٢٤ قارِن رو ١٠ : ٤).

وللقديس يوحنا ذهبي الفم شَرْح رائِع لهذه النقطة فيقول: [لم يترك الرسول بولس لليهود عُذرًا يلتمِسونه فإنَّ الناموس نفسه يُعلِن عن المسيح أنه وحده يتركز فيه البر ومَنْ يرفضه إنما يرفُض البر حتى وإن ظن في نفسه أنه بالناموس يتبرر] (٢٧)

أمَّا القديس كليمندُس الإسكندري فيؤكد على أن: [المسيح هو غاية الناموس للبر الذي أنبأنا عنه بالناموس لكل مَنْ يؤمن] (٢٨).

رابعًا . في مِلء الزمان :

أ. «لمَّا جاءَ مِلءُ الزمان أرسل الله ابنهُ مولودًا مِنْ امرأةٍ مولودًا تحت الناموس ليفتدي (يشتري ἐξαγοράσῃ) الذينَ تحت الناموس لِننال التَّبني» (غل ٤ : ٤ — ٥).

المسيح الكلمة (المولود) بِكر كل خليقة، تجسَّد مِنْ امرأة تحت الناموس ليفتدينا مِنْ لعنة الناموس صائِرًا لعنةً لأجلِنا (غل ٣ : ١٣) لِننال التَّبني.

يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: [هذا الذي حطم لعنتي دُعِيَ لعنةً مِنْ أجلي... صارَ آدم الجديد ليحتل مكان آدم الأول. وبهذا فقط يُحوِّل عِصياني عِصيانه هو بكونهِ رأس الجسد كله] (٢٩).

ب. يعقد القديس بولس مقارنة بين آدم الأول والمسيح آدم الثاني كالتالي:

---

[٢٧] المرجع السابق، ص ٢١١ (*In Rom. Hom.* 17)

[٢٨] تادرس يعقوب (القمُص)، المرجع السابق (*Strom.* 2:9)

[٢٩] تادرس يعقوب (القمُص)، تفسير رسالة غلاطية، ص ٢٧ (*Orations* 37: 1)

آدم الأول	المسيح (آدم الثاني)
خُلق على صورة اللّه ومِثاله	هو صورة اللّه (المولود غير المخلوق)
أرادَ أن يختلِس مجد اللّه ويكون مُعادِلاً له	لم يحسب خِلسة أن يكون مُعادِلاً للّه
رفع نفسه	لكنه أخلى نفسه
أرادَ أن يأخذ صورة إله.	آخِذًا صورة عبد.
وهو بطبيعته إنسان.	صائِرًا في شِبْه الناس وإنْ وُجِدَ في الهيئة كإنسان.
رفع نفسه.	وضع نفسه.
وعصى وصية اللّه وأكل مِنْ الشجرة (الخشبة).	وأطاعَ حتى الموت موت الصليب (الخشبة).
لذلك لعن اللّه الأرض بسببه.	لذلك رفعهُ اللّه أيضًا وأعطاهُ اسمًا فوقَ كل اسم (في ٢ : ٦ – ٩)
بعِصيانه أدخل الخطيئة إلى العالم.	بطاعتهِ أدخل النعمة إلى العالم.
وبالخطيئة دخلت الدينونة ثم الموت.	وبالنعمة دخل البر ثم الحياة الأبدية (رو ٥ : ١٥ – ٢١).
الإنسان الحيواني.	الإنسان الروحاني.
مِنْ الأرض تُرابي.	الرب مِنْ السماء.
صورِة الترابي : فساد وهوان وضعف.	صورِة السماوي : عدم فساد ومجد وقوة (١كو ١٥ : ٤٢ – ٥٠)
فقير.	افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقرِهِ (٢كو ٨ : ٩)

يربُط لنا القديس مكاريوس الكبير بين آدم الأول الذي أخطأ بكبريائِهِ وآدم الثاني الذي أطاع باتضاعه قائلاً: [كما أنَّ المسيح (آدم الثاني) أخذَ صورة

عبد وغلب الشيطان بالتواضُع هكذا فإنهُ في البداية سقط الإنسان (آدم الأول) عن طريق الكبرياء والمجد الباطِل بخِداع الحية][٣٠].

أمَّا القديس أثناسيوس فيقول: [لو لم يكن الرب قد صارَ إنسانًا لِمَا كانَ في وِسعِنا أن نُفتَدَى مِنْ الخطيئة وأن نقوم مِنْ بين الأموات بل لبقينا أمواتًا تحت الأرض ولِمَا كنَّا نُرفع إلى السماء بل لرقدنا في الجحيم][٣١].

و يرى العلاَّمة أوريجانوس أنَّ السيد المسيح إذ أطاع حتى الموت أعلن أنه لم يفعل ذلك عن ضرورة وإلزام وإنما عن اختيار وحرية إرادة[٣٢].

ويُؤكِد القديس جيروم قائلاً: [أننا لما كنا قابلين للموت وخاضعين له بسبب خطايانا، تنازل ليموت عن الخاضعين للموت حتى يرُّد لنا الحياة فيه][٣٣].

أمَّا القديس أُغسطينوس فيصِف لنا الفارِق بين آدم الأول والثاني هكذا قائلاً: [صارَ الرب السماوي أرضيًّا لكي يجعل الأرضيين سمائيين، الخالِد صارَ قابلاً للموت بأخذِهِ شكل عبد وليس بتغيير طبيعة الرب لكي يجعل المائتين خالدين بتمتُّعهُم بنعمة الرب وعدم انشغالهم بمعصية العبد][٣٤].

و يتعجب القديس يوحنا ذهبي الفم من كيف أماتَ المسيح آدم الثاني الموت قائلا: [ماذا إذن ؟ ألَمْ يمُت هذا الإنسان أيضًا؟ حقًّا لقد ماتَ ولكن لم تصِبُه أذيَّة مِنْ الموت بل بالحري وضع نهاية للموت][٣٥].

---

[٣٠] تادرس يعقوب (القمُص)، تفسير رسالِة فيلبي، سبورتنج ٢٠٠٣، ص ٤٠ (عظة ٢٧: ٥)

[٣١] المرجع السابق، ص٤٢ (*Adv. Arian* 1: 11: 43)

[٣٢] المرجع السابق (*On Gen. Hom.* 8:6)

[٣٣] المرجع السابق، ص ٤٣ (*On Psalms Hom.* 29)

[٣٤] تادرس يعقوب (القمُص)، تفسير رسالِة كورنثوس الأولى، سبورتنج ٢٠٠١، ص٥٧٤ (*Letter to Consentius* 205)

[٣٥] المرجع السابق، ص ٥٧٥ (*On 1 Cor. Hom.* 42: 2)

ج. لقد ماتَ مِنْ أجل الخطاة :

«اللّه بيَّنَ محبته لنا لأنهُ ونحن بعد خُطاة ماتَ المسيح لأجلِنا» (رو ٥ : ٨)، فهو القدوس الذي بلا خطيئة «جَعَلَ الذي لم يعرف خطيةً خطيةً لأجلِنا لنصير نحن بر اللّه فيه» (٢كو ٥ : ٢١)، فالمسيح «ماتَ مِنْ أجل خطايانا حسب الكتب» (١كو ١٥ : ٣)، «إن كانَ واحد قد ماتَ لأجل الجميع فالجميع إذًا ماتوا. وهو ماتَ لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي ماتَ لأجلهم وقام» (٢كو ٥ : ١٤ ـ ١٥)، فهو «بَذَلَ نفسهُ لأجل خطايانا» (غل ١ : ٤).

ويشرح لنا القديس أثناسيوس ذلك قائلاً: [طالما أنَّ الكلمة كانَ غير ممكن أن يموت إذ أنهُ خالِد فقد أخذَ لنفسه جسدًا قابلاً للموت حتى يستطيع أن يُقدِّمه كجسده الخاص نِيابةً عن الجميع حتى إذا ما تألَّم عن الكل باتحادهِ بالجسد فإنهُ يُبيد بالموت ذاكَ الذي له سلطان الموت أي إبليس ويعتِق الذينَ خوفًا مِنْ الموت كانوا كل حياتهم تحت العبودية (عب ٢ : ١٤ ـ ١٥)][٣٦].

ويشرح أيضًا القديس يوحنا ذهبي الفم حالِة الإنسان وقتما ماتَ المسيح عنه قائلاً: [إن كانَ مِنْ أجل إنسان فاضِل لا يُسرِع أحد بالموت عنه فتأمَّل محبة سيّدك إذ صُلِبَ لا مِنْ أجل أُناس فُضَلاء بل مِنْ أجل خُطاة وأعداء][٣٧].

أمَّا القديس أُغسطينوس فيُكرر نفس المعنى ولكن بأُسلوبه الفلسفي [إذ هو يُبغِض فينا ما لم يخلقنا عليه (يُبغِض الشر) ويُحب ما خلقهُ فينا (النفس المُشتاقة إلى خلاصِها)][٣٨].

د. لقد قدَّمهُ اللّه كفَّارة (ἱλαστήριον) (رو ٣ : ٢٥)، واشترانا بثمن (τιμὴ) (١كو ٦ : ٢٠، ٧ : ٢٣)، وبذل نفسه فِدية (ἀντίλυτρον) (١تي ٢ : ٦) لأجل الجميع، ليُعطي الجميع مغفِرة الخطايا (ἄφεσις) (عب ٩ : ٢٢، ١٠ :

---

[٣٦] عدة مؤلفين، تدبير الخلاص عند آباء الكنيسة، ص ٣١.

[٣٧] تادرس يعقوب (القمُص)، ص ١٠٣ (*In Rom. Hom.* 9)

[٣٨] المرجع السابق، ص ١٠٤ (*In Ioan.* 110:6)

١٨)، ومُصالحة مع الله (καταλλαγῇ) (رو ٥ : ١١، ٢كو ٥ : ١٨ ـ ١٩)، والتَّبَنِّي (υἱοθεσία) (رو ٨ : ١٥، غل ٤ : ٥، أف ١ : ٥).

ويشرح لنا القديس كيرلُس الإسكندري معنى الكفارة قائلاً: [الحَمَل الذي قدَّم نفسه كذبيحة لكي يُنقِذ الناس مِنْ الخطيئة ويجعلهم أنقياء وبلا خطيئة ويقودهم إلى الآب والناس لا يستطيعون أن يُقدِّموا أي شيء مُقابل فِديتهِ الإلهية لذلك لا يعودون مِلكًا لأنفسهم بل للمسيح الذي اشتراهم وخلَّصهم][٣٩].

لقد حدَّد القديس أُغسطينوس ذلك بكلمات واضحة [لا يتصالح إنسان مع الله خارج الإيمان الذي في المسيح يسوع][٤٠].

و يشرح القديس أثناسيوس لنا كيف صِرنا أبناء الله بالتبني قائلاً: [لسنا أبناء بالطبيعة إنما الابن (الكلمة) هو فينا، أيضًا الله ليس أبانا بالطبيعة ولكنه أب للكلمة الذي فينا وهو فيهِ وبسببه نصرُخ يا أبا الآب]، ثم يُضيف قائلاً: [الابن الذي فينا يدعوه أباه ويجعله أبانا نحن أيضًا فمَنْ لا يكون الابن في قلوبهم بالتأكيد لن يقدروا أن يدعوا الله أبًا لهم][٤١].

هـ. هذا ما لم يستطِعه ناموس موسى :

فالناموس لم يستطع أن يبررني «لأنهُ بأعمال الناموس كل ذي جسدٍ لا يتبرر أمامه» (رو ٣ : ٢٠، غل ٢ : ١٦)، «لأنهُ إن كانَ بالناموس بر فالمسيح إذًا ماتَ بلا سببٍ» (غل ٢ : ٢١)، لذلك لا أفتخِر بأعمال الناموس (الختان وحِفْظ السبت...) بل «حاشا لي أن أفتخِر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي بهِ قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم» (غل ٦ : ١٤)، «لأني لم أعزم أن أعرِف شيئًا بينكم إلاَّ يسوع المسيح وإياه مصلوبًا» (١كو ٢ : ٢).

---

[٣٩] عدة مؤلفين، تدبير الخلاص عند آباء الكنيسة، ص ٧٠

[٤٠] تادرس يعقوب (القمُص)، تفسير الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، ص ٢٥ (*In Ps*. 105)

[٤١] تادرس يعقوب (القمُص)، تفسير رسالة غلاطية، ص ٣٣ (*Against the Arians* 2: 58: 59)

لذلك يوبخ بولس الرسول أهل غلاطية متسائلاً: «أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان»، ثم يُكمِل توبيخه قائلاً: «فالذي يمنحكم الروح ويعمل قواتٍ فيكم أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان» (غل ٣ : ٢ ـ ٥).

ويشرح القديس يوحنا ذهبي الفم ذلك قائلاً: [هل نِلتُم عطية عظيمة كهذه وتممتُم مثل هذه العجائِب لأنكم حفظتم الناموس أم لأنكم التصقتُم بالإيمان؟ واضح أنَّ هذا تحقق بسبب الإيمان] [٤٢].

يُتْبَع

[٤٢] تادرس يعقوب (القمُص)، تفسير رسالِة غلاطية، ص ٢٥ (*In Galat. Chapter* 3)